غزو مخطط ومدبر

«منذ أن جمع محمد أعضاءه الأولين فى مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار العربى أصبح على العالم الغربى أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهه عبر البحر الأبيض، إن قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربى على مدى ١٣٠٠ سنة فى نهضته وانهياره».

مستر ناتنج وزير الدولة البريطانى فى كتابه العرب ١٩٦٤

سبق أن تحدثت عن هذا الغزو باختصار وتركيز حين عرض التيارات التى تعرضت لها ثقافة المسلم.. والآن نصل إلى الحديث عن هذا الغزو المخطط المدبر بما يستحقه من تبصير المسلم به حتى لا يعيش فى غفلة، لا يعرف الجذور لما تتعرض له ثقافته بل حياته كلها الآن..

الركيزة المهمة فى ثقافة المسلم:

إن أهم ركيزة تقوم عليها ثقافة الأمة الإسلامية، هى دينها الذى يتقمص روحها ويسرى فى دمها، ويضفى معالمه على مظهرها، فى أى مكان أو زمان يوجد فيه المسلمون.

ففى أى مكان يعيش فيه المسلم، يعيش معه دينه أو يعيش بدينه، ينتقل معه كما يتنقل دمه، وينبض فيه كما ينبض قلبه حتى وإن لم يكن ملتزمًا به كما يجب..

فثقافة المسلم العربى، والمسلم غير العربى فى الشرق، أو فى الغرب، أو فى إحدى مراكب الفضاء تقوم أول ما تقوم على دينه، وتأتى بعد ذلك العوامل الأخرى، من لغة وبيئة وتقاليد وآداب لتلون هذه الثقافة بعض التلوين، فنقول ثقافة المسلم العربى، المسلم الباكستانى، اليابانى، الصينى، الإنجليزى الأمريكى.. إلخ...

وهذا يعنى أن الدين عامل هام مشترك وفعال فى تكوين وجدان المسلم أو ثقافته أينما يكن. ومن خلال هذا العامل الفعال ينظر غيرك أول ما ينظر إليك.. وهذه أول بدهية أحب ألا تغيب عن أى إنسان مسلم. حتى يعرف نفسه ولا يتوه أو يعيش بلا هوية.

والبدهية الثانية إن الإسلام جاء بعد ديانتين سماويتين، كان لهما تأثيرهما وأنصارهما فى المجتمع حوله.. وكان الشرق كذلك موطنها الأصلى.. ومنه سرت إلى غيره.. وكانت اليهودية وأنصارها وثقافتها أول ما اصطدم الإسلام به – وهو لا يزال – فى دور طفولته وحبوه فى المدينة.. حيث أعلن اليهود فى المدينة عداءهم وحربهم على الدين الجديد، بأساليب مختلفة.. مما كان له أثره فى التاريخ، وخرج اليهود من هذا الاصطدام مقهورين حربيًا مشتتين.

وكانت المسيحية الماثل سلطانها القوى فى قيصر الروم وإمبراطوريته الشرقية فى «بيزانطة» فى جوار أرض الرسالة من الشمال حيث كان يحتل الشام، فبدأ القيصر يحس الخطر على ملكه من القوة الناشئة، ويحشد جيوشه للقضاء عليها فى مهدها، مما ترتب عليه بعض المعارك فى السنين الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنته بانتصار حاسم من أحد الجانبين، فلم يتسلط أحدهما على الآخر.

ولكن المسلمين ما لبثوا بعد وفاة الرسول أن تحركوا فى الشرق لأرض كسرى وفى الشمال لأرض القيصر الذى يستعمرها، ويسيطر عليها فى الشام، وفى المغرب حيث كانت مصر والشمال الأفريقى من مستعمرات القيصر، وكانت هذه الجولة فى صف المسلمين حيث استطاعوا أن يخلصوا أرض الشام والشمال الأفريقى من سلطان القيصر وتصبح أرضًا إسلامية، ثم ضموا إلى ذلك أسبانيا (الأندلس) وأجزاء من جنوب أوربا. وتحول البحر الأبيض بذلك إلى بحيرة إسلامية، بعد أن كان بحيرة رومية، وذلك خلال قرن واحد من الزمان ومن هنا بدأت العداوة للمسلمين الذين هزموا الملك المسيحى وانتزعوا منه مستعمراته وانتزعوا بالتالى زمان السيطرة منه وأمسكوا هم بها.. وظهر المسلمون فى صورة العملاق الذى لا يقهر..

«وأصبح على العالم الغربى المسيحى أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهه عبر البحر الأبيض» - كما يقول مستر ناتنج..

«ومستر ناتنج» يعبر بذلك عن نفسيته ونفسية الغرب المسيحى على اختلاف أممه[١] وبرغم ما بين دوله من عداء ومنافسات.. وحروب..

حتى وجدنا «مستر إيزنهاور» رئيس الولايات المتحدة الأسبق يتحدث فى التليفزيون حين بدت بوادر حرب ١٩٦٧، وما ظهر فيها من اتجاه رئيس مصر الأسبق نحو الحرب، ويقول «لو تركنا عبدالناصر ينتصر على إسرائيل، لسيطر على البحر الأبيض، وحوله - كما كان سابقًا إلى بحيرة إسلامية».. لم ينسوا..

وقد غذى هذا العداء وزاد فى حدته انتصارات المسلمين المتتالية، حتى أخضعوا جزر البحر الأبيض وأجزاء من جنوب فرنسا وإيطاليا لحكمهم[٢].. فى حين كان الأمويون يحاصرون القسطنطينية ويحاولون فتحها ١٠٨ هـ ٧٢٦م، وشارلمان إمبراطور الدولة الرومانية يشن حملاته على الأندلس ١١٢ هـ - ٧٧٨م، والمعتصم العباسى ينتصر على الروم ٢٢٤ هـ-٨٣٨م، وألب أرسلان يحارب البيزنطيين، ويحز رأس إمبراطورهم «رومانوس» من ٤٥٥-٤٦٥ هـ - ١٠٦٣-١٠٧٢م.

فكانت الحروب بين المسلمين، وبين المسيحيين فى الشرق والغرب مستمرة، ونار العداوة مشتعلة، وإن غطتها أحيانًا هدنة اختيارية بين الطرفين، أو هدنة إجبارية للاستعداد.. وكانت فى حقيقتها حروبًا سياسية دينية، بدأت بالحرب مع قيصر الروم وانتزاع مستعمراته[٣].

---

(١) ومثله ما يراه «جاردنر» من أن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوربا التبشير والاستعمار ص٣١ للدكتور مصطفى الخالدى، وعمر فروخ «الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٣م.

(٢) فتحوا جنوب فرنسا سنة ١٠١ هـ - ٧١٩م. واحتلوا «كريت» ٢١٠ هـ - ٨٢٥م وصقلية ٢١٢ هـ - ٨٢٧م، وبارى ومسينا بجنوب إيطاليا ٢٢٨ هـ - ٨٤٢م.

(٣) يرى المستشرق الألمانى «كارل بكّر» «أن الإسلام لما انتشر فى العصور الوسطى أقام سدًّا فى وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها» ويقول «جاردنر» يحاول المبشرون أن يصوروا العداوة بين الإسلام والغرب دينية، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر فى فلتات لسانهم، فإذا هى سياسية إن «يوليوس رشتر» يؤنب النصارى على قصر نظرهم فى أثناء الأعصر المتطاولة التى تلت =

.....

= ظهور الإسلام فإنهم كانوا فيها وادعين غافلين فى حين كانت الإمبراطورية البيزنطية الرومانية الشرقية تغيب شيئًا فشيئًا فى الإمبراطورية الإسلامية، حتى سقطت القسطنطينية نفسها عام ١٤٥٣م بيد الأتراك العثمانيين» - التبشير والاستعمار ص ٣١ ولا داعى لأن يختلفوا فهى سياسة دينية التقت فيها أطماع السياسين مع أحقاد الدينيين، لكنا نجد إمبراطور الروم «نقفور فوقاس» يرسل للخليفة العباسى يهدده فيها بالاستيلاء على بلاده، وهدم الكعبة، ونشر المسيحية فى الشرق والغرب معًا فتبدو الروح الدينية الحاقدة، ونجد الروم لا يكفون عن مهاجمة الدولة الإسلامية بهذه الروح حتى أوقع السلطان السلجوقى ألب أرسلان بالإمبراطور البيزنطى «مانوس الرابع» هزيمة ساحقة وأسره وأباد جيشه فى موقعة «مانزكرت» شرق آسيا الصغرى ١٠٧١م ص ١٩ - أضواء جديدة على الحروب الصليبية للدكتور سعيد عاشور.

obeikandl.com

الحروب الصليبية

أمام عوامل متعددة لقيت دعوة البابا لشن حرب شاملة على المسلمين - بدعوى استرداد الأماكن المقدسة من المسلمين - استجابة عامة.

فوجدنا أوربا كلها تجمع جموعها، ويشعل رجال الدين والأمراء والملوك فيها لهب العداء على المسلمين، ودوهلم فى الشرق، ويزحفون عليه فى أفواج من الجيوش متتالية بقيادة ملوكهم، ويستولون على بيت المقدس ١٠٩٩م ويذبحون ٧٠ ألف مسلم، ويقيمون إمارات لهم فى الشرق الإسلامى بدءًا من سنة ٤٩٠هـ - ١٠٩١م أو سنة ١٠٩٧ إلى ٦٩٠هـ - ١٢٩٠م، وتقوم بينهم وبين المسلمين حروب طاحنة فى الشام وفى مصر.. انتهت كلها بهزيمتهم أمام جيوش المسلمين، ورجوعهم إلى أوربا، يجرون وراءهم أذيال الفشل والخيبة، دون أن يحققوا أطماعهم، ويشفوا أحقادهم، التى دفعتهم إلى هذه الحروب، رجعوا بخيبة الأمل بعد التضحيات المالية والبشرية الهائلة، التى قدمها المسيحيون من كل مكان فى أوربا، وقدمها كذلك المسلمون.

وقد كان المهيجون للمسيحيين يجوبون البلاد - من رجال الدين وغيرهم - يحمسون الشعب للخروج فى هذه الحرب المقدسة، ويذكرون لهم عن المسلمين ورسولهم كل ما وسعه خيالهم، وأملته أحقادهم من نقائص تثير حماسهم، وتدفعهم للتضحية بأرواحهم، للقضاء على المسلمين ودوهلم.

وظل هؤلاء المهيجون يصبون هذه الأحقاد فى نفوس المسيحيين الأوربيين، حتى ترسبت وكونت فيها جبالا متراكمة من الأحقاد على المسلمين، وعلى دينهم، وزاد من ترسب هذه الأحقاد وتكلسها فى النفوس ما أصابهم أخيرًا من خيبة الأمل بخروج المسلمين فى الشرق العربى من هذه المعمعة منتصرين على ملوك وشعوب أوربا[١] والعبرة بالخواتيم..

---

(١) راجع تاريخ الصليبيين فى أى كتاب من كتب التاريخ وقد أخذوا بيت المقدس ٤٩٣هـ - ١٠٩٩م=

وبينما المسلمون فى الشرق العربى قد وضعوا نهاية لهذه الحروب الصليبية معهم، فإنه كانت هناك حروب صليبية أخرى بين العثمانيين والبزنطيين، وحروب صليبية أخرى فى الشمال الأفريقى، حتى هاجموا تونس عدة مرات، وحروب صليبية فى الأندلس، لقهر المسلمين وطردهم، حتى تحقق لهم ذلك عند سقوط غرناطة ٨٩٨هـ ١٤٩٢م، وقضى بذلك على المسلمين وحكمهم، وأنزل بهم المسيحيون شر أنواع التنكيل فى حين كان الملوك العثمانيون فى الشرق قد أصبحوا يمثلون قوة المسلمين الشابة الزاحفة، التى اكتسحت أمامها قوة المسيحيين فى بيزنطة، ودول البلقان، وما جاورها.. فيستولى محمد الفاتح على القسطنطينية ٨٥٧هـ ١٤٥٣م وتدق الجيوش العثمانية أبواب «فينا»، ويفرض محمد الفاتح جزية على جمهورية بجنوب إيطاليا، تدفعها له مخطوطات وتحفًا.. ويسيطر العثمانيون تمامًا على دول البلقان ويضمونها إلى دولتهم، يحكمها ولاة عثمانيون بجيوشهم..

الغرب يبحث عن طريق:

فهل تظن أن هذا الصراع والعداء الجاد المشتعل فى نفوس الأوربيين انتهى بمجرد الانتصار الإسلامى العربى عليهم نهائيًا فى الشرق؟ أو خمد بمجرد عودتهم مقهورين؟ كلا بل زاد..

إنهم إذا كانوا لم يستطيعوا الوقوف أمام قوة الشرق الإسلامى المسلحة بالعقيدة الإسلامية فى ذلك الوقت، فلابد أن يبحثوا عن طريق آخر ينفذون منه إلى مكمن القوة فى هذا الشرق، وبطريق سلمى يقدرون عليه حتى تتاح[1] لهم القوة..

= وانتزعه صلاح الدين منهم ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م.. وهزم المصريون جيوشهم فى دمياط والمنصورة واسروا قائدهم الملك لويس التاسع وحبسوه فى دار ابن لقمان سنة ٦٤٦هـ - ١٢٥٠م ولم يفرج عنه إلا بدفع فدية مما هو معروف...

(١) ليس معنى ذلك أنهم تركوا تهجمهم على البلاد الإسلامية فقد كانوا دائمى الاعتداء والتحرش بالمسلمين فى بلاد الأندلس، وفى شمال أفريقيا، وفى غير ذلك من البلاد الإسلامية، كما أن البابا عقب فشل الحروب الصليبية فى المشرق، دعا إلى ضرب حصار حول مصر لتجويعها، والبحث عن طريق =

ومن هنا تحول الغزو المسلح إلى غزو ثقافى هادئ يزعزعون به مركز القوة فى نفوس المسلمين وهو دينهم وعقيدتهم التى توحدهم، فلا تقف قوة أمامهم..

واتحاد المسلمين حول عقيدة، واتجاه، هو الذى يرهب الغربيين دائمًا، ويعملون لتحطيمه بكل الوسائل، أو على وجه أدق ليحولوا بين المسلمين وبين تحقيقه، حتى لا تكون لهم قوة..

يقول لورانس براون[1] «**إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم، أو أمكن أن يكونوا أيضًا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير**».

ولقد ظهر لهم ذلك بوضوح من التجربة التى مرت بهم مع المسلمين فى الحروب الصليبية، وكان ذلك أشد ظهورًا ووضوحًا لدى الساسة من ملوك أوربا وأمرائها الذين أضرموا نار هذه الحرب، وذاقوا مرارتها ومرارة الهزيمة، حين اتحد المسلمون.

لقد عرفوا تمامًا من تجربة استمرت قرنين من الزمان: متى كان المسلمون يضعفون وينهزمون، ومتى كانوا ينتصرون؟ ولئن رجعوا منهزمين هذه المرة، لقد رجعوا بفائدة، هى وقوفهم على مكمن القوة للمسلمين، فليعملن على إضعاف مركز القوة فيهم، وهى عقيدتهم التى تجمعهم وتوحدهم، وإذا كانوا لم يصلوا إلى ذلك بالقوة، فأمامهم العمل بالحيلة، وارتداء ثياب المودة للمسلمين، والعمل على نفعهم وإصلاح شئونهم ظاهرًا، ومن خلال ذلك ينفذون إلى ما يريدون..

ورجال الدين المسيحى والمتطوعون معهم فى خدمة الرب - كما يقولون - جاهزون، يشبعون غرضًا لهم كذلك دينيًا وآخر دنيويًا..

= للتجارة غير طريق مصر، وبدءوا يبحثون عن طريق بحرى يوصلهم إلى الهند، وحاصلات الشرق عن طريق الالتفاف حول أفريقيا، وتم لهم هذا ثم أن البابا رأى أن يستعين بملك الحبشة المسيحى لحصار مصر من الجنوب وغلق البحر الأحمر، ونجح فى ضم ملك الحبشة إليه فى رأيه، وأخذ يعد جيوشه للهجوم على مصر عن الجنوب، ويعقدون اتفاقات مع ملوك أوربا للهجوم على مصر، وأرسلت هيلانة ملكة الحبشة سنة ١٥١٠ م إلى ملك البرتغال ليعاونها بسفن لتقفل خليج السويس، وباب المندب وسمته فى الرسالة «قاهر المسلمين». راجع أضواء على الحرب الصليبية من ص ٥٨ مصدر سبق ذكره.

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٢ مصدر سبق ذكره.

والتقى على ذلك رجال السياسة، ورجال الدين معًا.. ولذلك نرى رجال السياسة فى دول الغرب برغم الفصل هناك بين الدين والسياسة وتنحية الدين عن حياتهم كدولة، وبرغم اختلافهم فى المذاهب المسيحية.. وعدائهم بعضهم لبعض، يلتقون على تعضيد جهود المبشرين والمستشرقين[١] على اختلاف مذاهبهم.. لأن الهدف النهائى لهم جميعًا واحد. وهو إضعاف القوة الإسلامية.. فأمريكا غطت نصف الأرض بمبشرين أمريكان ينعون أنهم رسل سلام: وفرنسا - الدولة العلمانية - تحمى رجال الدين المبشرين فى الخارج، حتى اليسوعيين الذين هم خصومها فى الداخل.. وإيطاليا كذلك. وباقى الدول الغربية..

والسبب الذى يكمن وراء هذا التوحد، مع هذا التناقض، هو الهدف الذى اجتمعوا جميعًا لخدمته، وهو إضعاف مركز القوة فى المسلمين، وتوجيه أكبر جهد لهذا الغرض، لأنهم يعرفون مدى تمسك المسلمين بعقيدتهم، ويعرفون كذلك أن الإسلام يمثل أكبر قوة أمامهم، تجمع لتابعيه بين منافعهم الروحية، ومنافعهم الدنيوية.. وبقدر ما فى الإسلام من قوة، وقدر ما فى أتباعه من مناعة، عملوا على أن يوجهوا له ضربة أقوى مما يوجهونها لأى دين أو مذهب آخر..

إنهم يحاولون تقييد هذا العملاق، أو إضعافه وتخديره، حتى يظل عاجزًا عن الحركة، وجريان الدم فى عروقه، حتى لا يواجهوا التجربة معه مرة أخرى.. وويل لهم إذا انطلق العملاق واستعاد قوته.. ولذلك حشدوا له كل وسائل

---

(١) وكان سفراء الدول الغربية لايقتصرون على تشجيع المبشرين من دولتهم ومذهبهم، بل ينشرون مظلة وقايتهم على المبشرين، على اختلاف مذاهبهم، لأنهم جميعًا يعملون لهدف واحد، هو مصلحة الغرب. وفى عام ١٩٢٤ وقعت الولايات المتحدة وفرنسا اتفاقًا يقضى بالتعاون فيما بينهم لحماية المبشرين وكان يهدف لحماية مبشرى أمريكا فى سوريا ولبنان راجع ص ١٦٣ من كتاب التبشير والاستعمار. وفى ص ١٥٢ يقول «وكانت انكلترا تشجع المبشرين من البروتستانت والكاثوليك على السواء فى السودان ما دام المبشر يخدم الاستعمار. وانكلترا بروتستانية متعصبة يقسم ملكها حين تتويجه على حماية البروتستانتية، ولكن الغاية تبرر الوسيلة، ولذلك يقول «جسب» "Jessup" يجب ألا يكون ثمت نعوت مثل أميركى «إنكليزى» ألمانى إلخ، تنعت أعمالنا التى نقوم بها لخدمة المسيح. إن الخصم المشترك واحد متحد فى مقاومتنا، فليكن اسمنا «نصارى» ص ١٧٢ المصدر السابق وفى تقرير عن التبشير كتبه «مستر بلس» يقول: كانت معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين تتحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة الأمريكية «الغارة على العالم الإسلامى ص ٢٥، وهو يعنى المبشرين على اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم..

الإضعاف، والتخدير، والتنويم، واحتشدوا ضده، وبأيديهم الإمكانات التى تسهل لهم العمل، لينام العملاق ويتخدر، وإذا صحا فلديهم المطارق التى تضربه فوق رأسه تهشمه أو تعمل له ارتجاج مخه.. ليستريحوا مما يؤرقهم، ويقض مضاجعهم باستمرار، دينيين كانوا أم سياسيين، ويشفوا ما فى صدورهم من غل على الإسلام والمسلمين، يظهر فيما يقولونه أحيانًا وسط التمويهات الكثيرة التى تصدر عنهم «قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر.. يقول جورج براون سنة ١٩٤٤:

«لقد كنا نخاف شعوبًا مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررًا لهذا الخوف، فإن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع، وقوته فى الإخضاع، وحيويته فى الانتشار، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى[١]...

ومن قبله قال لورد جلادستون رئيس الوزراء البريطانى سابقًا: «ما دام هذا القرآن موجودًا، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولن تكون نفسها فى أمان».

وقال مثل ذلك زعيم شيوعى روسى أيضًا، وتلاقى الشرق الأوربى مع الغرب فى هذه النظرة العدائية إلى الإسلام[٢]...

وما دام الأمر كذلك فلابد أن تتلافى خططهم للقضاء على هذا العملاق الذى يقض مضاجعهم بهذه الصورة.. حربية مسلحة كانت هذه الخطط، أو سلمية هادئة فى حراسة حرابهم.. ومدافعهم، وبكل الوسائل الممكنة والمتصورة، والتى تؤدى فى النهاية إلى تحقيق هدفهم... سواء كانوا شيوعيين أم غربيين. فى القضاء على الإسلام وثقافته وأمه.

---

(١) التبشير والاستعمار ص١٨٧ بتصرف.

(٢) وقال أيزنهاور وكان رئيس الولايات المتحدة فى الخمسينات، عندما بدا شبح الحرب فى يونيو ١٩٦٧ بين مصر وإسرائيل فى إذاعة تليفزيونية له للشعب الأمريكى «لو تركنا عبد الناصر ينتصر فسيغلق بوغاز جبل طارق ويحول البحر الأبيض إلى بحيرة إسلامية عربية»..

التبشير والاستشراق

وقد اتجهت خططهم فى العمل السلمى إلى اتخاذ وسيلتين: التبشير، والاستشراق.

التبشير:

ونحن نستعمل هذه الكلمة مجاراة لهم، حيث أطلقوها هم على عملهم فى تدمير الإسلام وغيره، مدعين أنهم يزفون للعالم الإسلامى وغيره، طريق الخلاص عن طريق المسيحية: ويبشرونه بهذا.. على حين نحن نعتقد أن ما يفعلونه هو طريق الهدم للإسلام...

والتبشير فى أصل اللغة العربية هو: الإخبار المفاجئ بخبر يظهر أثره على بشرة الوجه خاصة، وعلى باقى الجسم عامة. سواء كان هذا الخبر سارًا أم سيئًا. هذا فى الأصل.

ولكن غلب استعماله فى الإخبار المفاجئ بخبر سار وطيب، يسر له الإنسان، حين يسمعه، ويقابله: الإنذار. وقد جاء فى القرآن كثيرًا استعمال هذه المادة «بشر وما يؤخذ منها» فى الإخبار بخبر سار». ﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾[١] ﴿فبشرناها بإسحاق﴾[٢] ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾[٣].. ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه﴾[٤] أى وجه والد يوسف، ومنه أيضًا ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرًا بين يدى رحمته﴾[٥] ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان[٦]..﴾ ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[٧] ﴿وبشر الصابرين[٨]﴾ ﴿فبشر عبادِ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[٩]﴾ إلى غير ذلك من الاستعمالات.

---

(١) الحجر ٥٣.
(٢) هود ٧١.
(٣) أول سورة مريم ٧.
(٤) يوسف ٩٦.
(٥) الأعراف ٥٧.
(٦) التوبة ٢١.
(٧) البقرة ٢٥.
(٨) البقرة ١٥٥.
(٩) الزمر ١٧، ١٨.

ولذا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[١] إن استعمال البشارة هنا هو للتهكم بهم حيث لا يوجد لهم شىء سار يبشرون به.. وإن كان بعضهم قال. إنه روعىٰ فيه أصل استعمال.. المادة. وهو الإخبار بخبر سار أو غير سار، يظهر أثره على البشرة، وهى ظاهر الجلد، ويظهر ذلك أكثر على الوجه وملامحه.

والإخبار بالعذاب يظهر أثره على وجه الإنسان، ومقابل التبشير: الإنذار وهو الإخبار بخبر سيئ ومفزع.. ولذلك وصف القرآن رسل الله بهذا الوصف الجامع ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾[٢] لأنهم يبشرون المستجيبين لهم بالجزاء الحسن، وينذرون المعارضين بالعاقبة السيئة.. والتبشير قد يكون بشىء وخبر وقع، وقد يكون للمستقبل أما الإنذار فلا يكون إلا للمستقبل.

فيكون إطلاق لفظ «التبشير» على ما يقوم به المبشرون فى خدمة المسيحية ودولها، هو من واقع نظرتهم هم.. ونحن استعملناه أيضًا فى عملهم مجاراة لهم. حيث يكون كلامنا وكلامهم منصبا على حقيقة واحدة.. وعمل واحد..

وإلا فعملهم هذا هو شر بالنسبة لنا فى حقيقته، وليس فيه بشارة بالنسبة لنا، بل هو إنذار بعاقبة وخيمة بالنسبة لديننا وبلادنا..

لكن هكذا صار الاستعمال لكلمتى التبشير والمبشرين..

وسائل التبشير:

وللتبشير طرقه المتعددة، ووسائله المتنوعة، من إنشاء مدارس، وجامعات، ومستوصفات ومستشفيات، وملاجئ، ودور إيواء، وزيارات للبيوت، وتوزيع الدواء والغذاء والكساء، والمساعدة فى الإلحاق بالوظائف، وفى الترقيات والنشرات والكتب، إلى غير ذلك من الوسائل السلمية الهادئة، التى تبدو فى ظاهرها عملاً إنسانيًا يسد حاجة، ويحقق رغبة للفرد وللمجتمع، فهو يعتمد على الإغراء.. واستمالة القلوب بوجه عام،...

---

(١) التوبة ٣٤.

(٢) النساء ١٦٥.

ومن خلال ذلك ينفذون إلى عقول الناس، أو قلوبهم بما يريدون بثه فيهم...

والهدف من ذلك أن يحققوا بالطرق السلمية، ما أرادوا تحقيقه، بالطرق الحربية ففشلوا..

لقد كان الهدف من الحروب الصليبية: تدمير الإسلام وكسر شوكته كما يقول «غاردنر»[١] لقد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى. والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة، بقدر ما كانت لتدمير الإسلام.

فلما فشلوا فى ذلك استداروا ليحققوه بوسيلة أخرى سلمية هى التبشير والاستشراق.. وإذا كان الإسلام هو العقبة الوحيدة فى سيطرتهم على البلاد الإسلامية، وكان المسلم بعقيدته وتمسكه بها يمثل العقبة أيضًا أمام انتشار التبشير بالنصرانية، وضم المسلمين إلى مملكة المسيح - كما يقولون - فليعمل السياسيون والمبشرون متعاونين فى إزالة هذه العقبة لينفتح لهم الطريق إلى ما يريدون.. وكان هذا هو السبب فى تكتل المبشرين على اختلاف مذاهبهم ودولتهم ضد الإسلام والمسلمين، فى كل مجتمع إسلامى، كما كان السبب أيضًا فى احتضان السياسيين، أو فى تسخيرهم للمبشرين والمستشرقين لتحقيق أهدافهم السياسية، وإرضاء روحهم الحاقدة على الإسلام، فتجمعت قوى الدول الغربية وأموالها، لتقوية التبشير ومساندة رجاله أيًّا كان مذهبهم، أو كانت جنسيتهم، حتى فى الدول العلمانية التى فصلت الدين عن الدولة فى سياستها الداخلية كفرنسا وغيرها، فإن السياسيين والحربيين فى هذه الدول الغربية لا تزال مرارة هزيمة أسلافهم فى الحروب الصليبية تغص بها حلوقهم، وتحكم تصرفاتهم إزاء الإسلام والمسلمين...

فبعد مضى عدة قرون على هزيمتهم نرى تكتل الغرب ضد الخلافة الإسلامية

---

(١) ص ١١٦ كتاب التبشير والاستعمار طبعة ١٩٥٣، وغارنر أو جارونر، هو «تمبلر غاردنر» خريج أكسفورد جاء لمصر لابسًا لباس القسس سنة ١٩٠٤ وهدفه التصدى للعقيدة الإسلامية، فتعلم العربية وأجادها واختار بيت عرابى للإقامة فيه، فاستأجره من السلطة الإنجليزية، وأخذ يعقد فيه الاجتماعات، ويلقى المحاضرات ضد الإسلام، وكثيرًا ما حطم طلبة الأزهر - حين يسمعون كلامه - أثاث البيت - «أيام وأيام» للأستاذ محمد صبيح ص ٢١٩..

العثمانية فى البلقان، ونرى ما قاله الفرنسيون حينما اتجهوا للجزائر واحتلوها سنة ١٨٣٠م، ونرى تصريحاتهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين فى حرب التحرير الجزائرية فى الخمسينيات، ونرى روح هذا التعصب فى زحف إيطاليا على ليبيا فى أوائل هذا القرن، وما كان ينشده الجنود الإيطاليون الذاهبون لقتال المسلمين فى ليبيا، ونرى موقف الغرب من الدولة النيجيرية حين إنسلخت عنها إحدى مقاطعتها «بيافرا»[١].

ونرى ما قاله «لورد اللنبى» حين دخل القدس فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨: «اليوم انتهت الحروب الصليبية» وكأنهم كانوا مع المسلمين فى حرب منذ اندحروا وتركوا الشرق، حتى عاد الجنرال الإنكليزى وإستولى على القدس..

ونرى زميله القائد الفرنسى «غورو» الذى استولى على دمشق يذهب إلى قبر صلاح الدين بجوار المسجد الأموى، ويرفس أحجاره برجله، ويقول: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

وكان الجنرال الجبان يخاطب أحجارًا.. ولو كان صلاح الدين أمامه حيًّا لما استطاع أن ينطق إلا بعبارات المذلة والهوان.. ولكنه كان يتحدى الأحياء أحفاد صلاح الدين!!

وهو وزميله القائد الإنجليزى يقولان ما يقولان، بعد أن مرت عدة قرون على الحروب الصليبية، لكنهما والأمم الغربية لم ينسوا ثأرهما من صلاح الدين، ومن الأمة الإسلامية!..

وبهذه الروح عمل المبشرون والمستشرقون، وتلاقت روحهم جميعًا على تحطيم الإسلام والمسلمين بكل الوسائل.. باعتبار أن الإسلام يمثل العقبة الوحيدة أمامهم فى السيطرة على الإسلام وأرضه - كما قلنا - فليجتمعوا معًا فى زعزعة عقيدة الإسلام فى نفوس المسلمين، وقطع صلتهم وولائهم له، وزرع بذور الشك فيه بكل الوسائل..

---

(١) راجع كتابى «الإسلام والغرب وجهًا لوجه» فصل تسامح الشرق وتعصب الغرب...

وليس هناك ما هو أقوى فى ذلك من الأسلحة السلمية: التعليم والتطبيب والإعانات، والخدمات.. ينفذون بذلك كله إلى العقول والقلوب بهدوء، وبوسائل الإغراء والإقناع..

وإذا اهتز فى المسلم وفى ثقافته وكيانه عموده الفقرى وهو الإسلام، أصبح «كومة» من اللحم تنهشها الكلاب...

وإذا سقط من «هوية» المسلم إسلامه، وسقط من هوية المسلم العربى مع ذلك لغته، صار المسلم بلا ثقافة، وبلا هوية، وأصبح تائها مشردًا كالكلب الضال، يتلمس ما يرطب لسانه، ويحرك معدته، ويشبع جوعته ويجرى وراء ما يرمى إليه من أشياء وفضلات تحقق له طلبته...

وهذا هو ما يريد الغرب الحاقد أن يصير إليه المسلمون.. وهو على ضوء هذا يتصرف فى الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية معهم، وهو على ضوئه أيضًا، يضع نفوذه وسلطانه فى خدمة المبشرين والمستشرقين، ومن قبل أن يأتى الغرب مرة ثانية بجيوشه إلى الشرق فى القرن التاسع عشر، ويتحكم فيه، كانت جيوش المبشرين قد سبقته تزحف زحفًا سلميًا على الشرق الإسلامى، لتزعزع عقيدته وتشل فيه روحه، ليكون خاويا من الداخل، لا عقيدة له تسنده، ولا روح فيه تقوى صلبه.. فكان المبشرون طليعة هذه الجيوش، وهذا النفوذ الغربى فى بلادنا، مهدوا له بمؤسساتهم التى أقاموها فى البلاد الإسلامية، لتنفيذ أغراضهم تحت راية الأعمال الإنسانية...

يجب على المسلم أن يعرف:

ومن الضرورى أن يعرف المسلمون هذه الحرب السلمية التى أعلنت عليهم، بعد انهزام الصليبيين عسكريًا فى الشرق، ويقفوا على الخطط والبرامج والوسائل التى وضعها هؤلاء لتفريغ المسلمين من داخلهم، لتسهل السيطرة عليهم دينيًا، بضمهم لمملكة المسيح، وعسكريًا بتحويل بلادهم إلى مستعمرات للغربيين...

وليس من غرضى هنا أن أضع أمامك كل هذه الخطط والوسائل والأهداف،

التى نطقت بها ألسنتهم، وعملت لها جهودهم، لأن ذلك يطيل الكتاب، ويخرج بنا عن الخطة التى رسمناها للحديث عن الغزو الفكرى ويشعب أمامنا البحث...

ولهذه أحب أن أوجه القارئ إلى معرفة هذا بشىء من التفصيل من كتابين مهمين متخصصين فى هذه الناحية:

أولهما: كتاب «الغارة على العالم الإسلامى»:

وهو ترجمة لما كتبه المبشرون أنفسهم عن جهودهم فى التبشير فى العالم كله، والمنشآت التى أقاموها، والمؤتمرات التى عقدوها حتى أوائل هذا القرن سنة ١٩١٣م لتنفيذ أغراضهم.. وقد نشر ذلك فى مجلة «العالم الإسلامى» الفرنسية بهذا العنوان، وترجمه الأستاذ/السيد محب الدين الخطيب، والأستاذ/مساعد اليافى، ونشر تباعًا فى صحيفة المؤيد سنة ١٣٣٠ فى صحيفة الفتح سنة ١٣٤٩ هـ ونقلته مجلات وصحف أخرى، حتى طبع سنة ١٣٥٠ هـ بالمطبعة السلفية، وهو من تأليف «مسيو شاتليه».. وقدم للترجمة/المرحوم السيد محب الدين الخطيب، وقال فى مقدمته «إنه بعد أن نشرت هذه الترجمة فى عدة صحف ومجلات فى العالم الإسلامى» ضاق صدر كتاب مجلة العالم الإسلامى نفسها وأمثالهم من أنصار التبشير والاستعمار، لأنهم يودون أن يقوم التبشير بأعماله والمسلمون نيام...».

وهذا الكتاب يحوى من البحوث:

* مقدمة المسيو «شاتليه» عن إرساليات التبشير البروتستانية وتاريخ إرساليات التبشير.
* مؤتمر التبشير الأول فى القاهرة سنة ١٩٠٦.
* مؤتمر التبشير الثانى فى أدنبره (إنجلترا) سنة ١٩١٠.
* مؤتمر التبشير الثالث فى لكنو بالهند سنة ١٩١٣.
* التنظيم المادى لإرساليات التبشير.
* مقاصد المبشرين وآمالهم فى المستقبل..
* أدبيات إرساليات التبشير.
* النتائج.

ويقول المرحوم الأمير شكيب أرسلان تعليقًا على ما اطلع عليه من نشر الترجمة فى الصحف: «ويجب نشر ذلك فى كتاب، ويترجم إلى جميع اللغات التى يتحدث بها المسلمون، وأن يطبع منه عشرات الألوف، ويوزع على جميع أنحاء العالم الإسلامى ويقتنيه كل مسلم ذى حمية، ويقرأ منه الخطباء والمدرسون فى الجوامع ولا يبرح بين أيدى المسلمين، حتى يستظهروه غيبًا، لعلهم ينهضون أخيرًا لمقابلة الشىء بمثله.. إلخ»..

وحقًّا ما يقوله الأمير شكيب، من أن الواجب على كل مسلم ذى حمية أن يطلع على هذا الكتاب، حتى يعرف ما يدبرونه له، ويقف على أساليبهم وطرقهم، وينهض لمقابلة هذه الأسلحة بما يبطل مفعولها، ويعمل لخدمة دينه..

ثانيهما: كتاب «التبشير والاستعمار» فى البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين إلخ:

وهو من تأليف الدكتورين الفاضلين: مصطفى الخالدى، وعمر فروخ.. ومن منشورات المكتبة العلمية شارع المعرض بيروت ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣م الطبعة الأولى. وقد قالا فى مقدمة الكتاب «لعله يصلح أن يكون دليلا فى يد الجيل الناشئ يتتبع فيه جهود المبشرين وسعيهم إلى زعزعة عقيدة الناشئة الشرقية عامة، والإسلامية خاصة، ثم تهيئة هذه الناشئة لقبول النفوذ الغربى والاستكانة إلى الاستعمار».

وقد تحدث الكتاب عن بواعث التبشير، وعن التطبيب والتعليم والسياسة والأعمال الاجتماعية كطريق فسيح للتبشير، وعن الإدارة الأجنبية فى خدمته، ثم فى الفصل العاشر والأخير عن هدفهم فى تشويه الثقافة العربية الإسلامية، وكان مما جاء فى هذا[1]:

«رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية، وأنها مصدر عزة الشرق والعرب والمسلمين، وأيقنوا أن أمة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخضع

---

(١) ص ٢١٣.

أو تذل أو تبيد، فانصرفت أذهان هؤلاء المبشرين والمستعمرين إلى تشويه وجه هذه الثقافة، وإلى الحط من شأنها فى نفوس أصحابها.. إلخ».

وقد ذكر فيما ذكره دعوتهم إلى استعمال اللغة العامية، حتى اعتنق دعوتهم هذه كثير منا، كما دعوا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، كما حصل فى تركيا، وفى الصومال أخيرًا.. ووجدوا منا - مع الأسف - من يردد هذه الدعوة، ويحبذها، لتنقطع صلاتنا تمامًا بتراثنا ونصبح أمة بلا أصل.. ولا جذور، فيسهل إقتلاعها من سجل الأمم..

وكانت آخر سطور هذا الكتاب الخطير فى معلوماته، والذى يجب على كل مسلم قراءته ليعرف «يديه من رجليه»، كانت هذه النتيجة النهائية لكل ما سبقه فى ٢٣٤ صفحة: «فالتبشير - إذن - خطر دينى بالغ، فوق ما هو خطر سياسى واقتصادى، إنه خطر على كيان الأمم الشرقية، إن القضية بالنسبة لنا قضية بقاء أو فناء»..

ويضاف إلى هذين، كتاب مهم ثالث هو كتاب «التبشير والاستشراق»، «أحقاد وحملات» للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوى، طبع مجمع البحوث بالأزهر سنة ١٩٧٧م وهو فى غاية الأهمية لمن يريد التزود فى هذه الناحية، لقد عربد المبشرون ورتعوا كما شاءوا فى البلاد الإسلامية التى خيم عليها الاستعمار، وأمسك بزمامها، ورتعوا فى حمايته ورعايته، حتى رأينا اللورد كرومر فى مصر يتدخل لحماية طالب مسلم قد تنصر فى القدس، فطلبه أبوه فالتجأ الولد إلى اللورد كرومر فى مصر فاستكتبه وثيقة بأنه لا يريد الرجوع مع أبيه[1] وبسط عليه حمايته.. وإلى هذا الحد كان يصل نفوذ كرومر وعمله!!. وهو

---

(١) ص ١٥٣ المصدر السابق وأحب أن أذكر بمناسبة الكلام هنا عن هذا الكتاب للتاريخ، أنه عند صدوره حورب من جهات متعددة حتى إن المكتبة التى كانت توزعه فى القاهرة وجدت مطاردة وضغطًا من بعض أجهزتنا، وذهبت جهودى سدى للحصول على نسخة منه، حتى أهدانى أحد أساتذتى الكبار نسخته، وأوصانى ألا أكتب اسمه ولا أسمى على الكتاب، وكنت كتبت أنه مهدى إلىّ من فلان فعدت وعملت على محوه، ولاسيما اسم الذى أخذته منه حتى تمزقت الورقة من الموضع الذى يحمل اسمه، وهو أمامى الآن وعليها هذا الأثر من المحو ويظهر أثر اسمى خفيفًا والتاريخ صفر ١٣٧٤هـ وأكتوبر ١٩٥٤م بصعوبة.. أذكر هذا الآن ليعرف القارئ مدى المطاردة التى تعرض لها هذا الكتاب فى القاهرة، لا لشىء إلا أنه=

يمثل دولة إنجلترا فى مصر وفلسطين !!...

وإذا كانت البلاد الإسلامية قد نالت استقلالها أخيرًا، واحدة بعد الأخرى، فقد تأصلت فيها قواعد ووسائل التبشير ومؤسساته.. وبرغم القرارات التى صدرت فى عهد الاستقلال، لتحد من سلطان هذه المؤسسات بقيت تؤدى رسالتها فى ظل العمل التعليمى أو الاجتماعى الذى تتستر وراءه.. بل وتنال أحيانًا مساعدة وتشجيعًا من الحكومات الإسلامية، باسم عملها هذا.. دون عناية بالسم الذى فى الدسم !!..

فقد علمت - مثلا - خلال سنة ١٩٨٣م أن راهبة اختارت منطقة متأخرة جدًّا من الناحية الاجتماعية جنوب القاهرة، لتكون مسرح عملها، فتمركزت فيها، وبدأت عملها مع السكان: من تمريض وغذاء وملبس إلخ. وعلمت من خبر موثوق به، وليس بمسلم، أن الممرضات الأجنبيات فى المستشفى التى كان يعالج بها يخصصن يوم إجازتهن ليذهبن إلى هذه المنطقة حاملات معهن بعض ما يحتاج إليه سكانها، لمساعدة هذه الراهبة !!

ما الغرض من هذا؟..

ولما كتبت أنبه الغافلين إلى هذا الأسلوب، تصدى لى أحد رجال الدين غير المسلمين، ورجل آخر، وكتبوا يدافعون عن هذه الراهبة، بأنها تقوم بعمل اجتماعى فى قطاع متأخر متخلف من سكان القاهرة، المحرومين من العناية بهم إلخ.. وهى مؤيدة من وزارة الشئون، وبعض الجهات الرسمية فى القاهرة.

وهكذا يبقى التبشير متسترًا بمثل هذه الأعمال الاجتماعية، ويلقى من يدافعون عنه، أو من لا يهتم به.. وقد عملت مدة فى دولتين من دول الخليج، مسئولا عن الدعوة الإسلامية، ولمست نشاط التبشير فى هذه البلاد وما جاورها متمثلا فى المدارس والمستشفيات والمنشورات، والكتيبات التى توزع على الطلاب والمرضى... وعملت ما وسعنى لإيقاف ذلك، وكان جهدى فى هذا قطرة فى بحر...

= يفضح وسائل الغرب ومبشريه، ويعرف إلى أى حد كان النفوذ الغربى - الإنجليزى - فى مصر فى هذا الوقت، وكيف إمتد لمطاردة كتاب كهذا ومطاردة موزعيه وحامليه أو مقتنيه، وفى أوائل عهد الثورة المصرية !!

وأخيرًا وجدنا كتبًا تدرس للطلاب فى مصر فى هذه المدارس تنبه إليها أحد أولياء أمور الطالبات ومن خلالها تسرى سموم الانحلال، وتحطم التقاليد والآداب الإسلامية[١]، حتى تدخل وزير التعليم سنة ١٩٨٣م ومنع ذلك، وأمر باليقظة لما يدرس فى هذه المدارس من كتب..

ومثل ذلك كنت وجدته فى كتاب يدرس فى إحدى دول الخليج، ونبهت إليه، واتخذت حكومتها قرارها فورًا.. ولكن القافلة تسير هنا وهناك، فى غفلة أو تغافل من المسلمين، مسئولين أو غير مسئولين...

ولابد أن تؤدى هذه المؤسسات رسالتها ما دامت تقوم بأموال جمعت من الغرب، لتحقيق هدفها، ولابد لها من تطوير عملها ووسائلها، لتلائم الحالة الجديدة فى البلاد الإسلامية المستقلة، وتكون كما قال أحدهم فى وصاياه للمبشرين: «يجب أن يظلوا برآء كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم أيضًا من أن يكونوا حكماء كالحيات»[٢]... نعم.. فهى تعمل بأموالها التى جمعت من التبرعات فى الغرب لخدمة المسيح، ونشر تعاليمه، وأشياء أخرى.. فلابد أن تعمل للغرض الذى جمعت له هذه الأموال.

«فحينما احتج الطلبة المسلمون على إجبار الجامعة الأمريكية فى بيروت لهم على الدخول إلى الكنيسة يوميًا وكان ذلك عام ١٩٠٩، أصدرت الجامعة منشوراً طويلاً جاء فى مادته الرابعة ما يلى:

«إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحى، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشئوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر، إذا لم يسندها هؤلاء، وكل هذا قد فعلوه ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وكل طالب يدخل إلى مؤسستنا، يجب أن يعرف مسبقًا ماذا يطلب منه»[٣]..

---

(١) ففى الكتاب الإنجليزى المقرر قصة رحلة مدرسية فى إنجلترا، انفرد فيها فتى وفتاة وقضى كل منهما حاجته من الآخر.. وعاد الجميع من الرحلة مسرورين إلخ.. هكذا.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٨.

ومثل هذه الجامعة كل الجامعات أو الكليات الأمريكية أو غير الأمريكية التى قامت فى الأقطار الإسلامية.. وهذه حقيقة يجب ألا تغيب عن ذهن أحد.

ولا يجوز ولا يليق أن نخدع أنفسنا بالغلاف الجديد، الذى غلفت به هذه المؤسسات نفسها وعملها، عملا بما يوجبه علينا ديننا واستقلال البلاد الإسلامية.. فإن القافلة تسير والهدف لا يزال هو الهدف، وفى عهد الاستقلال: وإذا كان من الصعب - كما قرر كبار المبشرين أنفسهم - نقل المسلم إلى النصرانية، فإن الهدف الذى وضعوه نصب أعينهم، ورأوا أنه سهل، هو إضعاف الروح والعقيدة أو الفكرة الإسلامية فى نفوس المسلمين، وزرع بذور الشك فيها وفى التعاليم الإسلامية.

«إذ الضعف التدريجى فى الاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع ذلك من الانتقاض والاضمحلال الملازم له بعد انتشاره فى كل الجهات - سوف يفضى إلى انحلال الروح الدينية من أساسها»[1] وحين تضعف الفكرة الإسلامية، أو تنحل الروح الدينية فى نفوس المسلمين - كما يقولون - تفقد ثقافتهم العمود الفقرى لها، وتتهيأ النفوس لاستقبال الغزو الثقافى الأجنبى، دون أية صعوبات أو اعتراضات، ويصبح المسلمون تبعًا لذلك صورًا ممسوخة، لا هى شرقية ولا هى غربية مسيحية، وتختفى كل الحصون أو التحصينات أمام هجمات الغرب الصليبى، ويصير المسلمون فى نظر الغربيين كالثمرة الناضجة التى حان أن يقطفوها.. كما يعبرون بذلك فى آخر مؤتمر تبشيرى لهم فى «كلورادو» بأمريكا سنة ١٩٧٨م...

وبهذه المناسبة أود أن أضع أمامك هنا شيئًا عن هذا المؤتمر وعن الكتاب الذى صدر عنه وهو بعنوان:

الإسلام والإنجيل:

وهو كتاب باللغة الإنجليزية من ٦٣٨ صفحة يضم الأعمال والبحوث التى

---

(١) من مقدمة «المسيو شاتليه» فى كتاب «الغارة على العالم الإسلامى» ص١٣.

ألقيت فى المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى «جلين أيرى» بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية فى منتصف أكتوبر ١٩٧٨ بتوصية سابقة من المؤتمرات التى عقدت قبله عام ١٩٧٨ بأمريكا ومؤتمر لوزان بسويسرا سنة ١٩٧٤ م..

وقد ضم هذا المؤتمر فى «جلين أيرى» «العدد الكبير ممن يمثلون الكثير من مختلف الاتجاهات والهيئات الكهنوتية، المهتمة بتنصير المسلمين أساطين وأساتذة التبشير المسيحى والفطاحل من رجال الكهنوت والعتاة من المبشرين العاملين، وكذلك هيئة استشارية ضخمة، تتكون من أساتذة متخصصين فى علم النفس، وعلم الأنساب والسلالات البشرية، وخبراء متمرسين فى شئون الدول النامية، ومناطق العالم الثالث.

«ولم يكن لذلك من هدف إلا وضع خطة محكمة، ورسم استراتيجية دقيقة لغزو العالم الإسلامى فى حملة صليبية عقدية ضارية، تهدف إلى تنصير المسلمين، وتشويه شريعة وعقيدة الإسلام، وبلبلة الأفكار الدينية لدى المسلمين فى كافة أنحاء العالم».

وقد مثلت فى هذا المؤتمر الكنيسة القبطية فى مصر بالقس «بشير عبدالمسيح» الذى ألقى بحثًا فى المؤتمر عن التجسد وكيف يصل إلى قلب المسلم[١].

وهو ضمن نحو أربعين بحثًا تدور كلها حول الهدف الذى اجتمعوا من أجله، وهو تنصير مسلمى العالم وضمهم إلى مملكة المسيح، بعد هدم الإسلام وشريعته فى نفوسهم، بالطرق المختلفة، التى مارسها إخوانهم من قبلهم، وهم يزيدون عليها ما يقتضيه تطور الوسائل المؤدية لهذا الهدف..

وقد خطا هذا المؤتمر خطوة أوسع وأقرب إلى الصراحة والمواجهة فى مهمته،

---

(١) من ترجمة قامت بها إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث لبعض بحوثه بعد أن حصلت على نسخة من هذا الكتاب الذى طبع بالولايات المتحدة وتولى نشره (مركز الاتصالات العالمية للأبحاث التبشيرية ذلك المستوى الرفيع).. وهذا الكتاب بما ضمه من بحوث، توقف المسلمين على ما يبيته لهم الغرب ويحتاج إلى همة غيورة لترجمته كله وطبعه ووضعه أمام المسلمين حتى ينتبهوا إلى الخطر الذى يتعرض له دينهم وثقافتهم إذا أرادوا الحياة الصحيحة العزيزة.

فعدل عن تعبير التبشير واستعمل بدلاً منها كلمة «التنصير» لأنهم لم يجدوا أمامهم دفاعًا يردعهم!!!

ثم إنه أشرك معه الكنائس القومية، وحملها مسئولية العمل معه نحو الهدف المشترك، وتلك خطوة جريئة وخطيرة، واستفزازية، لا أدرى كيف قبلتها الكنائس القومية المستقلة فى الشرق!!.

ولا أجد تعليقًا على هذا إلا المثل الشعبى الذى يقول: «يا فرعون إيش فرعنك؟ قال: لأنى لم أجد من يردنى».

وقد أعلنوا خلال المؤتمر أنهم جمعوا نحو مليار دولار، للبدء فى تنفيذ مهمتهم، وخططهم فورًا وأنهم فعلا بدءوا بإنشاء معهد لتدريب المبشرين وتوعيتهم، سموه «معهد زويمر»، وهو أقدم وأعتى المبشرين فى الشرق، كما بدءوا فى إنشاء مؤسسة نسائية فى كراتشى باكستان لتنصير النساء المسلمات هناك!! وكان من توصيات المؤتمر أن تعمل الأقليات المسيحية فى الدول الإسلامية على الإكثار من إنشاء الكنائس، والكنائس الضخمة الفخمة، ونشرها فى أنحاء بلادهم، ولو كانت الحاجة إليها غير ملموسة، ليظهر وجه المسيحية فى هذه البلاد الإسلامية، إن استجيب لهم، وإلا قامت بينهم وبين حكومات البلاد وشعوبها أزمات واصطدامات تشوه من سمعة هذه البلاد فى المجتمعات المسيحية الغربية[1] !! وتقوم بمساندتهم بمالها ونفوذها!!

والشىء بالشىء يذكر:

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر، فإننى لا أرى مانعًا لدى القراء أن أذكر شيئًا يتعلق بهذا المؤتمر.. فعندما نشرت «مجلة الأمة» القطرية شيئًا عن هذا المؤتمر، وإشارة من قارئ بأمريكا عنه، أرسلت إليها تعليقًا بعنوان: هذا ما فعلوا فماذا فعلنا؟ وكان ذلك على ما أذكر خلال سنة ١٩٨٢ بعد عقد المؤتمر بنحو أربع

---

(١) خطية نرى معالمها قائمة، ومن قبل انعقاد هذا المؤتمر وبعده، مما يشير إلى التلاقى العام فى الخطط والهدف مع الأسف!!

سنين: فأين كان الغيارى من المسلمين الذين علموا به طوال هذا المدة ولاسيما هناك؟

ولما طلبت منى «مجلة العروة الوثقى الجديدة»، التى كانت تصدرها المرحومة «جامعة الشعوب الإسلامية» أرسلت لها مقالين، فيهما بعض التفاصيل عن هذا المؤتمر.. تسلمهما منى صديقنا الأستاذ الشاعر الأديب محمد التهامى، المستشار بالجامعة العربية، والمشرف على تحرير «مجلة العروة» لنشرهما، وكم أسفت بعدها وتألمت، لأن المسئولين عن تحرير المجلة وعلى رأسهم الأمين العام لجامعة الشعوب، أشاروا بعدم النشر!! كما عرفت من الأستاذ التهامى، وقلت: لقد تساءلت فى مقال «مجلة الأمة» هذا ما فعلوه فماذا فعلنا؟. وكنت أستفز الهمم لنفعل شيئًا عمليًّا إزاء مخطط هؤلاء.. وبعد مدة جاءنى الرد من هيئة تحرير.. «العروة الوثقى» عليها رحمة الله، على تساؤلى «ماذا فعلنا» بفعل لم يكن فى الحسبان، إذ خافوا حتى من مجرد نشر معلومات عن هذا المؤتمر بيننا!!: وكان من حسن الحظ أنى وجدت صورة لأحد المقالين «مقال مجلة العروة» وأظن أنه لا مانع من وضعه أمام القراء هنا.. وفيه معلومات أرى من الخير إضافتها هنا، وليعلم القارئ: ماذا خاف منه السادة من كبار مثقفى ورجال المسلمين فى «العروة» وإلى أى مدى وصلت حالتنا؟.. ولله الأمر..